

إلى روح الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي صديقا وأستاذا ————— عبد الله بن خميس الكندي

إلى روح الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي...صديقا وأستاذا

بقلم: الدكتور عبد الله بن خميس الكندي<sup>1</sup>

جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

kindik@squ.edu.om

لا تتجاوز هذه الشهادة التي أتشرف بكتابتها حدود تسجيل بعض الانطباعات الشخصية التي ترسخت في ذاكرتي عن المدة القصيرة التي التقيت فيها بالأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي، إلى جانب توثيق أهم إسهاماته العلمية الجليلة والمقدرة التي قدمها للبحث العلمي بشكل عام، ولسلطنة عمان بشكل خاص في السنوات الأخيرة من حياته، والتي كان يشغل فيها أستاذا بقسم التاريخ في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس. وإذا كانت هذه الشهادة انطباعية وتوثيقية للسنوات الأخيرة للراحل العزيز إبان خدمته العلمية في سلطنة عمان، فأنا على يقين أن الشهادات الأخرى التي سيقدمها الأساتذة والأصدقاء ممن جايلوا الأستاذ بلقاسمي من الجزائر خاصة، ومن المغرب العربي بشكل عام، ستكون أكثر سبرا للجانب المعرفي والإنساني لهذه الشخصية.

التقيت بالأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي أول مرة في ديسمبر 2012، عندما جاء مشاركا في ندوة علمية نظمها مركز الدراسات العمانية بجامعة السلطان قابوس، وتحدثنا يومها عن التاريخ الحديث والمعاصر، ومكانة عمان التاريخية، وحضورها المؤثر في شرق أفريقيا. وجدت في الرجل يومها مواصفات أستاذ التاريخ الذي سيواصل جهود أستاذ مهم آخر كان يهم بمغادرة الجامعة، هو الأستاذ ابراهيم الزين صغيرون. طلبت منه موافاتي بسيرته الذاتية وشجعتة التقدم للجامعة في دورة التوظيف القادمة كأستاذ للتاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، دون وعود أو التزامات وتترك الإجراءات تأخذ طريقها الطبيعي، وتحكم اللجان بعدها بما تشاء. وقد تم بالفعل تعيين الأستاذ الدكتور بوعلام اعتبارا من سبتمبر 2013 بدون تردد وعلى مستوى مختلف اللجان لأن مواصفات الشخصية العلمية كانت بارزة وواضحة. ومنذ وصوله جامعة السلطان قابوس أخذ الأستاذ الدكتور بوعلام يساهم بفاعلية في مختلف مجالات العمل الأكاديمي في الكلية والجامعة، بل ويحرص على حضور الفعاليات

1- أستاذ الصحافة المشارك، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان. عميد كلية الآداب والعلوم الاجتماعية في الفترة من يناير 2011- يوليو 2017.

إلى روح الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي صديقا وأستاذاً ————— عبد الله بن خميس الكندي

الثقافية خارج الجامعة. تولى الإشراف على الدراسات العليا بقسم التاريخ، كما استلم رئاسة تحرير مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية. شخصيا عملت مع الدكتور بوعلام في عدد من اللجان والأنشطة الأكاديمية فوجدت فيه مثالا للباحث الناقد، والأكاديمي الملتزم، والعالم الحصيف، والقارئ المتمكن من مجال تخصصه، وصاحب العلاقات الأكاديمية الممتدة مع نظرائه من أساتذة التاريخ في العالم العربي. وعن قرب شعرت بإخلاصه في الأعمال الموكلة إليه وفي رغبته الإيجابية والصادقة لتقديم الأفضل للجامعة ولعمان وللعلم بشكل عام. أضف على كل هذه الصفات، كان الأستاذ الدكتور بوعلام بلا هالات مصطنعة أو مزيفة ولا ألقاب كبيرة، يحمل تواضع العلماء وأخلاقهم السمحة في التعامل. كان المنهج العلمي بوصلته الأساسية والوحيدة، فلم أشعر يوما أنه ينطلق من منظور أيديولوجي على الرغم من ارتباط التاريخ وقضاياها المتشعبة بالكثير من الأطروحات الأيديولوجية.

تركزت الإسهامات العلمية للأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس في ثلاث مجالات أساسية، بالإضافة إلى التعليم الذي كان يقوم به كغيره من الأساتذة. تمثل المجال الأول في المشاركة في الندوات والمؤتمرات التي عقدت داخل عمان وخارجها وخاصة تلك المؤتمرات التي تناولت الوجود العماني في شرق أفريقيا والآثار الحضارية لعلاقة عمان بذلك الجزء من العالم. وتمثل المجال الثاني من إسهاماته في قيادة برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ. أما المجال الثالث من إسهاماته فتمثل في رئاسة تحرير المجلة العلمية المحكمة للكلية.

أظهر الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي، بحكم تخصصه في التاريخ الحديث والمعاصر، اهتماما بتاريخ الوجود العماني في شرق أفريقيا فشارك في أكثر من ندوة ومؤتمر علمي في هذا الموضوع، بل أنه جاء إلى السلطنة أولاً كباحث مشارك في مؤتمر دولي نظمه مركز الدراسات العمانية بجامعة السلطان قابوس عن "الحضور العماني بشرق أفريقيا" في ديسمبر 2012. وكانت ورقة بلقاسمي بعنوان "الوجود العماني في شرق إفريقيا في مذكرات بعض الرحالة والقناصل الأوروبيين خلال القرن 13هـ/19م". على هامش أعمال ذلك المؤتمر التقيت الدكتور بوعلام بلقاسمي، ثم زارني في مكنتي بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية وتحدثنا مطولا عن آثار الوجود العماني في شرق أفريقيا وفي جزيرة زنجبار على وجه الخصوص، فوجدت فيه أستاذا مهتما ومطلعا على هذا المجال البحثي الذي يعني لنا في عمان الشيء الكثير. كان ذلك اللقاء بداية التعرف على شخصية هذا الأستاذ المؤرخ، القادم من جامعة وهران الجزائرية، المتخصص في تاريخ

إلى روح الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي صديقا وأستاذاً ————— عبد الله بن خميس الكندي

الاستعمار الأوروبي في العالم العربي وأفريقيا، كحقل من حقول المعرفة ضمن تخصص التاريخ الحديث والمعاصر حسب دراسته له في درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة ايبست انجلترا East Anglia البريطانية.

وتابع الأستاذ الدكتور بلقاسمي اهتمامه العلمي بالوجود العماني في شرق أفريقيا وشارك فور انضمامه إلى العمل بجامعة السلطان قابوس في سبتمبر 2013 في ندوة دولية نظمها هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية وعقدت في جزيرة زنجبار. في هذه الندوة قدم بلقاسمي ورقة علمية عن "دور السلطان برغش بن سعيد في نهضة زنجبار 1870-1888"، أظهر من خلالها قدرات علمية قارة في قراءة الأحداث والشخصيات التاريخية اعتمادا على مختلف المصادر الأولية منها والثانوية.

وفي مقابل هذه القراءة لدور شخصية سياسية عمانية حكمت زنجبار هو السلطان برغش بن سعيد، عاد الدكتور بلقاسمي في أكتوبر 2015 ليقدم قراءة أخرى عن شخصية مفكر إسلامي هو علي بن الأمين المزروعى ضمن ندوة نظمها النادي الثقافي بسلطنة عمان للتعريف بالدور الحضاري للعمانيين وإسهاماتهم العلمية في شرق أفريقيا. ويعكس هذا الأمر رغبة الدكتور بلقاسمي في قراءة أثر الوجود العماني في شرق أفريقيا، وزنجبار على وجه الخصوص من كافة الجوانب ومع مختلف الشخصيات دون تضيق أو حصر، لأن الظاهرة التاريخية والأثر الحضاري يتم بحثما من نواح سياسية واقتصادية وثقافية وعلمية وأثرية، حتى يمكن الإلمام بمكونات تلك الظاهرة وتحديد ملامح الأثر الحضاري وخصائصه. تناول الدكتور بلقاسمي "شخصية الدكتور علي بن الأمين المزروعى وأدواره في مجالات الثقافة والفكر والتسامح"، مستعرضا مسيرة هذا المفكر المسلم الأفريقي ذو الأصول العربية العمانية.

وإلى جانب موضوع الوجود العماني في زنجبار وتأثيرات ذلك الوجود الحضاري للإمبراطورية العمانية في شرق أفريقيا، أظهر الدكتور بلقاسمي اهتماما بموضوعات علمية وتاريخية أخرى ذات صلة مباشرة بعمان. ففي أكتوبر 2013 شارك في ندوة نظمها جامعة السلطان قابوس بعنوان "مسقط تاريخ وحضارة"، تناول فيها "صورة مسقط ومطرح في كتب الرحالة الغربيين في القرن 19".

وفي مشاركة علمية أخرى، قدّم الدكتور بلقاسمي ورقة علمية مهمة بعنوان "التاريخ الشفوي وأهمية توثيقه" ضمن أعمال ندوة نظمها وزارة التراث والثقافة في السلطنة بتاريخ 29 أكتوبر 2014

إلى روح الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي صديقا وأستاذاً ————— عبد الله بن خميس الكندي

وحملت عنوان "التراث الثقافي غير المادي". وعكست هذه الورقة قناعة الأستاذ المؤرخ بلقاسمي بأهمية التاريخ الشفوي عندما ربطه بمفهوم الذاكرة والتاريخ الشفوي، وأهمية المصادر الشفوية للمؤرخ، وآليات توثيق الرواية الشفوية. وفي هذه الورقة يمكن فهم الكثير من خصائص المنهج العلمي والبحث التاريخي عند الدكتور بلقاسمي، فهو على الرغم من إيمانه القاطع بأهمية الرواية الشفوية، لكنه في ذات الوقت بقراءتها بشكل نقدي داخلي وخارجي، كما يؤكد بضرورة مقايستها بمصادر أخرى وعدم قبول ما تقدمه تلك الروايات كمسلمات وحقائق نهائية.

وفي موضوع آخر شارك الدكتور بلقاسمي في ندوة علمية أقيمت في باريس بتاريخ 7 أبريل 2015، نظمتها هيئة المحفوظات والوثائق الوطنية بالسلطنة بعنوان "عمان في الوثائق الفرنسية"، حيث قدّم ورقة علمية تناولت "العلاقات الفرنسية الدبلوماسية والتجارية مع عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر". حيث أوضح الدكتور بلقاسمي كيف استفادت فرنسا من مكانة عمان وأهميتها التجارية في القرن الثامن عشر كمركز إقليمي رئيس للبضائع في منطقة الخليج العربي. وقدم بلقاسمي في هذه الورقة إشارات مهمة عن اتفاقية السلطان سعيد بن سلطان عام 1807 مع الحاكم الفرنسي لجزيرة موريشيوس، ومعاهدة الصداقة والتجارة عام 1844، إلى جانب معلومات أساسية عن رحلة السفينة "كارولين" إلى مدينة مرسيلا وعلى متنها مبعوث السلطان سعيد بن سلطان.

وفي مجال القيادة البحثية لبرنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ-كلية الآداب والعلوم الاجتماعية- بجامعة السلطان قابوس، فيُحسب للدكتور بلقاسمي الإشراف على برنامجي الماجستير والدكتوراه منذ بداية عام 2015 وإشرافه على عدد من الرسائل العلمية التي عكس بعضها اهتمامه الذي أصبح واضحاً بتاريخ الوجود العماني في شرق أفريقيا والمؤثرات الحضارية للإمبراطورية العمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ومن الرسائل العلمية التي أشرف عليها الدكتور بلقاسمي في تلك الفترة دراسة لدرجة الماجستير بعنوان "الأنشطة التجارية والدبلوماسية للقناصل الأمريكيين في زنجبار: 1837-1915" للباحثة روث كلتي ولفرد، ودراسة أخرى تناولت "الصراع البرتغالي-الفارسي-العثماني على جزيرة هرمز 1509-1622"، للباحثة الغالية بنت سالم المغيرة. إلى جانب رسالتين لدرجة الدكتوراه: الأولى بعنوان "العلاقات العمانية الفارسية (1792-1856) للباحثة نجية بنت محمد السيابية، والثانية للباحث ناصر بن عبد الله الصقري بعنوان "التعليم في مسقط ومطرح بين 1888-1970: دراسة تاريخية.

إلى روح الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي صديقا وأستاذاً ————— عبد الله بن خميس الكندي

أما المجال الثالث الذي قدّم فيه الدكتور بلقاسمي إسهامات مقدرة لجامعة السلطان قابوس فتمثل في رئاسة تحرير المجلة العلمية المحكمة لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية في الفترة من سبتمبر 2015 إلى ديسمبر 2016، وفي هذه الفترة تابع الدكتور بلقاسمي مرحلة ترسيخ قواعد النشر في هذه المجلة والحفاظ على استمراريتها وتأكيد حضورها بين الدوريات العلمية العربية المحكمة في الآداب والعلوم الاجتماعية بشكل عام. وقد ناقشنا أكثر من مرة مكانة هذه المجلة كذراع علمي أساسي لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ودورها في تقديم مستجدات المعرفة في الآداب والعلوم الاجتماعية، وتشجيع أساتذة الكلية على وجه الخصوص لنشر بحوثهم وأوراقهم العلمية.

في الفترة الأخيرة من حياته وصراعه مع المرض، كان مؤمنا بقضاء الله وقدره، وكان في ذات الوقت يبحث عن أسباب الشفاء حسب آخر مستجدات العلم. التقيت الدكتور بلقاسمي في تلك الفترة داخل المستشفى وخارجه، وكان يكرر لي أنه يخرج لكي يبدو الأمر طبيعيا وكأنه يتعايش مع المرض أو يحاول مواجهته بقوة أكبر. في صيف 2017 وتحديدا بداية يوليو/جويلية من ذلك العام، لم أتمكن من توديع الدكتور بوعلام قبل سفري الأخير بشكل شخصي ومباشر فحاولت الاتصال به، ولكن لم يرد، فقلت في نفسي لا داعي للتوديع وسوف نلتقي وقد تحسنت صحته وتجاوز هذه المرحلة الحرجة، لذلك كان خبر فقده في 22 يوليو/جويلية 2017 حزينا ومؤلما بالنسبة لي، لأنه فقد دون وداع.

رحم الله الصديق المؤرخ الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.